بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا» 28 صَفَرٍ ١٤٤٧هـ

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ؛ فَإِنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ السَّعْيَ فِي إِصْلَاحِ النَّفْسِ، قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ سَبَبِ حِفْظِ مَالِ الْيَتِيمِ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، وَأَوْصَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَنْ خَافَ وَخَشِيَ عَلَىٰ وَلَدِهِ بِلُزُومِ التَّقْوَىٰ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ تَمَامِ الْعَقْلِ وَسَلَامَةِ الدِّيَانَةِ أَنْ يُفَتِّشَ الْمُرَبِّي أَبًا كَانَ أَوْ أُمًّا أَوْ مُعَلِّمًا عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّرْبِيَةِ، فَيَلْزَمُ غَرْزَهُ، وَيَقْتَفِي أَثَرَهُ، وَيَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِ، مُسْتَعِينًا بِاللهِ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ رَبَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ وَأَوْلَادَهُ وَصَحْبَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خَيْرَ تَرْبِيَةٍ. تَرْبِيَةٌ أَنْتَجَتْ جِيلًا فَرِيدًا قَلَّ نَظِيرُهُ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ مَرَّ بِمُخْتَلَفِ الظُّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَمُرَّ بِهَا مُرَبٍّ أَوْ مُعَلِّمٌ. فَلَقَدْ عَاشَ النَّبِيُّ ﷺ الْفَقْرَ وَالْغِنَىٰ، وَالْأَمْنَ وَالْخَوْفَ، وَالْقُوَّةَ وَالضَّعْفَ، وَالنَّصْرَ وَالْهَزِيمَةَ، وَالْيُتْمَ. وَلَقَدْ عَاشَ الْعُزُوبَةَ وَالزَّوْجِيَّةَ وَالْأُبُوَّةَ، وَهُوَ قُدْوَتُنَا ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِعْمَ الْمُرَبِّي، وَإِلَيْكَ نَمَاذِجَ مِنْ ذَلِكَ:

الْأَوَّلُ: التَّرْحِيبُ وَحُسْنُ الِاسْتِقْبَالِ. أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَ صَفْوَانُ بْنُ عَسَّالٍ الْمُرَادِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْمَسْجِدِ عَلَىٰ بُرْدٍ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، طَالِبُ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّىٰ يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ».

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْتَفِي بِالْوُفُودِ، وَيُحْسِنُ اسْتِقْبَالَهُمْ، وَيَتَّخِذُ لِذَلِكَ لِبَاسًا خَاصًّا، إِشْعَارًا مِنْهُ بِمَزِيدٍ مِنَ الِاهْتِمَامِ بِهِمْ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْوَفْدُ؟»، قَالُوا:

رَبِيعَةُ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ - أَوِ الْقَوْمِ - غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَىٰ».

وَكَانَ ﷺ يَكْسِبُ وُدَّ الطُّلَّابِ وَالْأَوْلَادِ وَيُظْهِرُ حُبَّهُمْ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ».

الثَّانِي: الثَّنَاءُ وَالتَّشْجِيعُ. فَهُوَ وَقُودُ النَّجَاحِ الْمُوصِلِ بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ لِلْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِينًا، فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، حَقَّ أَمِينٍ»، قَالَ: فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ، قَالَ: فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ.

الثَّالِثُ: وَمِنْ هَدْيِهِ ﷺ فِي التَّرْبِيَةِ: التَّبَسُّطُ وَإِزَالَةُ الْحَوَاجِزِ، مَعَ حِفْظِ مَقَامِ الِاحْتِرَامِ الْكَامِلِ؛ لِأَنَّ هَذَا يَجْعَلُ الْمُتَرَبِّيَ قَرِيبًا مِنْ مُرَبِّيهِ، فَيَسْأَلُ عَمَّا أُشْكِلَ عَلَيْهِ وَأَهَمَّهُ، فَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَىٰ مَجْلِسٍ فَيَسْأَلُ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟! لَمْ يَتَمَايَزْ بِمَجْلِسٍ وَلَا هَيْئَةٍ، وَيُهَوِّنُ عَلَىٰ مَنْ يَهَابُهُ هَيْبَةً شَدِيدَةً. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ [الْفَرَائِصُ: وَاحِدَتُهَا فَرِيصَةٌ. لَحْمَةٌ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْكَتِفِ]، فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ [الْقَدِيدُ: هُوَ اللَّحْمُ الْمُمَلَّحُ الْمُجَفَّفُ فِي الشَّمْسِ]»، وَأَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ عَدَا التِّرْمِذِيِّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ [أَيْ: رَبَطَ يَدَهُ بِحَبْلٍ]، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، قَالَ: فَقَالُوا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ»، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي سَائِلُكَ وَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: «سَلْ مَا بَدَا لَكَ»، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: نَشَدْتُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا

فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.

الرَّابِعُ: كَانَ ﷺ يُشْعِرُ الْمُتَرَبِّيَ بِقِيمَتِهِ وَقَدْرِهِ. فَرَسُولُ اللهِ يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ وَحَاجَاتِهِمْ. فَالسُّؤَالُ عَنِ الْأَحْوَالِ مُشْعِرٌ بِالِاهْتِمَامِ، فَحِينَ تَغَيَّبَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ سَأَلَ عَنْهُ، وَحِينَ غَابَ ثَابِتُ ابْنُ قَيْسٍ الْخَطِيبُ الْجَهُورِيُّ الصَّوْتِ سَأَلَ عَنْهُ، وَكَانَ يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ فِي الْجَيْشِ، حَتَّىٰ رَأَىٰ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَعَ جَمَلِهِ الضَّعِيفِ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْقَوْمِ فَدَعَا لَهُ فَلَحِقَ بِالرَّكْبِ.

الْخَامِسُ: مِنْ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ التَّرْبِيَةُ بِالْقِصَّةِ. فَلِلْقِصَصِ أَثَرٌ بَالِغٌ فِي النُّفُوسِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمُ الْغَارُ، فَفِيهِ تَحْفِيزٌ عَظِيمٌ لِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَحِفْظِ الْعِرْضِ، وَالْأَمَانَةِ.

وَمِنْ هَدْيِهِ ﷺ التَّرْبِيَةُ بِالْحَدَثِ. فَإِنَّهَا مِنْ أَنْجَعِ الْأَسَالِيبِ وَأَقْوَاهَا تَأْثِيرًا، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جُلُوسًا، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

السَّادِسُ: التَّرْبِيَةُ بِالْقُدْوَةِ. فَمِمَّا حَدَثَ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا صَالَحَ قُرَيْشًا عَلَىٰ الرُّجُوعِ، وَعَدَمِ دُخُولِ مَكَّةَ عَامَهُمْ ذَلِكَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ، كَمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «قُومُوا فَانْحَرُوا»، قَالَ الْمِسْوَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّىٰ قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ، ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّىٰ تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ إِهْمَالَ الْأَطْفَالِ فِي صِغَرِهِمْ، وَعَدَمَ تَوْجِيهِهِمُ التَّوْجِيهَ الصَّحِيحَ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ صِغَارٌ، يُؤَدِّي بِالْأُمَّةِ إِلَىٰ مَهَاوِي الرَّدَىٰ.

إِنَّ النَّاظِرَ فِي تَعَامُلِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ صِغَارِ الصَّحَابَةِ يَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْدِرُ لِهَذَا النَّشْءِ قَدْرَهُ، وَيَعْرِفُ لَهُ قِيمَتَهُ؛ وَلِهَذَا أَخْرَجَ جِيلًا تَحَمَّلَ الْأَمَانَةَ، وَنَشَرَ الدِّينَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ سَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: «ائْذَنْ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ»، فَقَالَ الْغُلاَمُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا ، فَتَلَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي يَدِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: التَّرْبِيَةُ بِالسُّؤَالِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ [الْجُمَّارُ: قَلْبُ النَّخْلَةِ وشَحْمُهَا، تَمُوتُ بِقَطْعِهِ، وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهَا بَعْدَ قَطْعِهَا]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَأْكُلُهُ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً خَضْرَاءَ، لَمَا بَرَكَتُها كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ، لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ، وَتُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟»، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، فَقَالَ القَوْمُ: هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، وَوقعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا، فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ [يَعْنِي: الْكِبَارَ]، فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ [أَصْغَرُ الْقَوْمِ]، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَسَكَتُّ. فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا، قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ». فَلَمَّا قُمْنَا، قُلْتُ لِعُمَرَ أَبِي: وَاللهِ يَا أَبَتَاهُ، لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَكُمْ تَتَكَلَّمُونَ، لَمْ أَرَكَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا، وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، فسَكَتُّ، قَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الطِّبِّ النَّبَوِيِّ»: فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلْقَاءُ الْعَالِمِ الْمَسَائِلَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، وَتَمْرِينُهُمْ، وَاخْتِبَارُ مَا عِنْدَهُمْ.

وَفِيهِ: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَالتَّشْبِيهِ.

وَفِيهِ: مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ الْحَيَاءِ مِنْ أَكَابِرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ، وَإِمْسَاكِهِمْ عَنِ الْكَلَامِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

وَفِيهِ: فَرَحُ الرَّجُلِ بِإِصَابَةِ وَلَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ لِلصَّوَابِ.

وَفِيهِ: أَنَّهُ لَا يُكْرَهُ لِلْوَلَدِ أَنْ يُجِيبَ بِمَا عَرَفَ بِحَضْرَةِ أَبِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ الْأَبُ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِسَاءَةُ أَدَبٍ عَلَيْهِ.

وَفِيهِ: مَا تَضَمَّنَهُ تَشْبِيهُ الْمُسْلِمِ بِالنَّخْلَةِ مِنْ كَثْرَةِ خَيْرِهَا، وَدَوَامِ ظِلِّهَا، وَطِيبِ ثَمَرِهَا، وَوُجُودِهِ عَلَىٰ الدَّوَامِ، وَثَمَرُهَا يُؤْكَلُ رُطَبًا، وَيَابِسًا، وَبَلَحًا، وَيَانِعًا، وَهُوَ غِذَاءٌ، وَدَوَاءٌ، وَقُوتٌ، وَحَلْوَىٰ، وَشَرَابٌ، وَفَاكِهَةٌ، وَجُذُوعُهَا لِلْبِنَاءِ وَالْآلَاتِ وَالْأَوَانِي، وَيُتَّخَذُ مِنْ خُوصِهَا الْحُصُرُ وَالْمَكَاتِلُ وَالْأَوَانِي وَالْمَرَاوِحُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَمِنْ لِيفِهَا الْحِبَالُ وَالْحَشَايَا، وَغَيْرُهَا، ثُمَّ آخِرُ شَيْءٍ نَوَاهَا عَلَفٌ لِلْإِبِلِ، وَيَدْخُلُ فِي الْأَدْوِيَةِ وَالْأَكْحَالِ، ثُمَّ جَمَالُ ثَمَرَتِهَا وَنَبَاتِهَا، وَحُسْنُ هَيْأَتِهَا، وَبَهْجَةُ مَنْظَرِهَا، وَحُسْنُ نَضْدِ ثَمَرِهَا وَصَنْعَتِهِ وَبَهْجَتِهِ، وَمَسَرَّةُ النُّفُوسِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ، فَرُؤْيَتُهَا مُذَكِّرَةٌ لِفَاطِرِهَا وَخَالِقِهَا، وَبَدِيعِ صَنْعَتِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَتَمَامِ حِكْمَتِهِ، وَلَا شَيْءَ أَشْبَهَ بِهَا مِنَ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ؛ إِذْ هُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَنَفْعُهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي حَنَّ جِذْعُهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمَّا فَارَقَهُ شَوْقًا إِلَىٰ قُرْبِهِ، وَسَمَاعِ كَلَامِهِ، وَهِيَ الَّتِي نَزَلَتْ تَحْتَهَا مَرْيَمُ لَمَّا وَلَدَتْ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ. اهـ